تاريخ الاستلام: 2022/12/17م تاريخ القبول: 2022/12/30م تاريخ النشر: 2022/12/31م

روما وقراصنة شرق البحر المتوسّط

آمال سعيد الشوشان

قسم التاريخ – كلية التربية

جامعة الزاوية

الملخَّص:

إنّ من أهم ما يركّز عليه البحث هو تسليط الضوء حول نشاط القراصنة في شرق البحر المتوسّط، ومحاولة التعرّف على مصادر القوّة التي حظيت بها هذه الفئة، وكيف زاد نشاطهم في المنطقة بالرّغم من وجود القوّة الرومانيّة التي كانت تفرض سيادتها وهيمنتها على مناطق عدّة من الشرق الأدنى القديم، ومن الغريب أنّ روما في بادئ الأمر لم تتّخذ موقفاً جديّاً تجاه ما يقوم به هؤلاء القراصنة من أعمال، ومن الواضح أنّها كانت تستفيد ممّا يقومون به، لكنّ روما سرعان ما اتّخذت موقفاً مغايراً تماماً، فاعتزمت تطهير البحر المتوسط منهم بسبب ازدياد أعمالهم التخريبيّة حتى بات خطرهم يهدّد روما في عقر دارها، بهذا اتّخذت كافة التدابير والاستعدادات التامّة لإنهاء هذا الأمر بالقضاء عليهم .

Research Summary:

One of the most important things that research focused on is shedding light on the activity of pirates in the east Mediterranean ,and trying to identify the sources of power that group enjoyed ,and how their a ctivity increased in the region despite the presence of the Roman power that was imposing its sovereignty and dominance several regions of the ancient Near East .It is strange that Rome at first did not take a serious position regarding but soon it takes a completely different position and intends to cleanse the Medierranean from them due to the increase in their sabotage Their danger has become a threat to Rome and its backyard , so I have taken all measures and full preparations to end this matter by eliminating them .

تمهيد:

منذ القرن الثاني ق.م أخذ نشاط القراصنة يزداد في شرق البحر المتوسّط، وأصبحوا خطراً يهدّد جميع القاطنين على السواحل الشرقيّة للبحر المتوسّط، فقد كانت القرصنة حقيقة لطالما أرعبت المقيمين والقيمين على البحر المتوسّط، وكان القراصنة لا يتوانون في أذيّة وقتل وأسر كلّ من يصادفونهم من البشر، ولا نبالغ إذا قلنا إنّه لم يسلم من بطشهم لا طير ولا حجر، وقد ساهم في تنامي قوّتهم وازديادها الأحداث المتسارعة التي شهدها الشرق الأدنى القديم من الحروب الدائرة، وسقوط الممالك، ودخول روما كطرفٍ من أطراف هذا الصراع، وفقدان الدور الذي كانت تلعبه مصر والذي أدّى بها في نهاية الأمر إلى إضعاف مركزها في حماية وتأمين البحر المتوسّط .

إشكاليّة البحث:

تكمن إشكاليّة البحث في التساؤلات التالية:

- لماذا لم تتّخذ روما موقفاً من هؤلاء القراصنة؟
- ماهي أبرز الأعمال التخريبيّة التي قام بها هؤلاء القراصنة؟
- هل كانت هناك محاولات جادّة من قبل روما لردع القراصنة والحدّ من نشاطهم في المنطقة؟
- كيف تمكّنت روما من القضاء عليهم؟

الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى توضيح مدى تنامي واستفحال خطر القراصنة في منطقة شرق المتوسط، كما يهدف إلى توضيح السياسة التي اتّبعتها روما للتخلّص منهم باجتثاث جذورهم من منطقة شرق البحر المتوسّط.

منهجيّة البحث:

المنهج المتّبع في هذا البحث هو المنهج التحليليّ القائم على تحليل وتفسير الحقائق التاريخيّة بما يتماشى مع متطلّبات البحث العلميّ، حيث تمّ الاعتماد على عددٍ من المصادر الكلاسيكيّة والمراجع الأجنبيّة والمعرّبة والعربيّة، وقد اعْتُمد في هذا البحث على المصدر الكلاسيكيّ للمؤرّخ اليونانيّ (بلوتارخ) صاحب كتاب السير المقارنة لعظماء اليونان

والرومان الذي تحدّث فيه باستفاضة عن القراصنة وأعمالهم التخريبيّة في مناطق شرق المتوسط، كما تمّت الاستعانة بكتاب التاريخ الرومانيّ للمؤرّخ (ديو كاسيوس)، والمؤرّخ (أبيان الإسكندري) صاحب كتاب التاريخ الرومانيّ، أمّا الكتب والمراجع الحديثة فقد كان للدكتور (إبراهيم نصحي) نصيب الأسد في رجوع البحث إليه خاصّةً؛ لكونه تناول في بحوثه الأحداث التي مرّ بها شرق البحر المتوسّط في ظلّ ما عاناه من القرصنة.

محاور البحث:

من خلال ما سبق ذكره قُسِّمَ البحث إلى خمسة محاور، تناول الأوّل منها الأوضاع في شرق المتوسّط منذ القرن الثاني ق.م، أمّا المحور الثاني فتناول أسباب قوّة القراصنة، والمحور الثّالث تحدّث عن روما ومحاولة مواجهة القراصنة، أمّا المحور الرابع فتناول الأعمال التخريبيّة للقراصنة، وأخيراً المحور الخامس الذي تناول مهمّة القضاء على القراصنة.

أولًا- الأوضاع في شرق المتوسّط منذ القرن الثاني ق.م:

بعد معركة ماجينيسا* 189ق.م التي كان من نتائجها انتهاء الإمبراطوريّة السلوقيّة ودخول روما للشرق الأدنى فرض الرومان كعادتهم شروطاً قاسيةً على الملك (أنطيوخس) الملك السلوقيّ، ومن بين هذه الشروط أن يسلم الملك (أنطيوخس) جميع الأراضي السلوقيّة الواقعة إلى شمال جبال طوروس، وتمّ تقييد ممتلكاتها فأصبحت روما تتحكّم في مصير الشرق الأدنى[1]، كما فرضت عليه تسليم حوالي خمسين سفينةً حربيّةً من أسطوله الحربيّ لحرقها، ولم تترك له سوى عشرة سفنٍ فقط، وبذلك انتهت الهيمنة البحريّة على بحر إيجة، كما أنّ البحرية المصريّة في تلك المرحلة لم تكن أفضل حالاً ممّا كانت عليه البحريّة السلوقيّة، فهي أيضاً أُصيبت بالوهن والضعف منذ أوائل القرن الثاني ق.م، ممّا أسهم في نشاط القراصنة في الحوض الشرقيّ للمتوسط، وبدأوا في تهديد السفن التجاريّة فتسبّب ذلك في حدوث مشاكل مختلفة في تلك المناطق[2].

بدأت الأوضاع في شرق المتوسّط تتدهور شيئاً فشيئاً خاصّةً بعدما خسرت (رودوس)** نشاطها التجاريّ الكبير الذي حقّقته في المنطقة منذ منتصف القرن الثاني ق.م، وقد استطاعت (رودوس) طوال فترة مجدها أن تخلق توازناً بين القوى الهلينستيّة

الموجودة في تلك الفترة، كما تمتّعت بمكانةٍ تجاريّةٍ عظيمةٍ، حيث تميّزت بكونها محطّة تجاريّة ضمنت لها قوّة اقتصاديّة وبحريّة على حدٍّ سواء لكن سرعان ما تبدّلت الأحوال، ومن المهمّ الإشارة في هذا الصدد إلى قيام (رودوس) بمساعدة روما والمساهمة في استقدامهم لآسيا الصغرى وبحر إيجة[3]؛ وذلك لرغبة (رودوس) في أن تتدخّل روما في الحروب المقدونيّة الثانية[4].

ومن المعروف أنّه لا أحد يستطيع كبح جماح روما تجاه فرض هيمنتها وسيادتها على أيّ أرضٍ تطؤها أقدامها، وهذه هي السياسة المتّبعة من قبل الرومان.

وبعد الصراع الدائر في المنطقة خسرت (رودوس) مكانتها وقوّتها، وانتهي دورها البحريّ بحرمانها من الأموال التي كانت تأتيها من تجارتها بتحويل معاملاتها وموانئها إلى (ديلوس)[5]، وكان سبب اختيار روما لـ (ديلوس) أنّها كانت بمثابة نقطة اتّصال جيّدة بين إيطاليا وشرق العالم الهللينستي، هذا من جانبٍ ومن جانبٍ آخر أدركت أنّ (رودوس) كانت ستشكل خطراً عليها إذا ما استمرّت في قوّتها، ومنذ ذلك الوقت أصبحت روما مسؤولةً عن النشاط البحريّ في البحر المتوسّط من الشرق حتّى الغرب[6].

ثانياً – أسباب قوّة القراصنة:

عاث القراصنة في الأرض فساداً، وكانوا مصدراً للرعب عند الملاّحين طوال عدّة قرون من الزمان[7]، وقد كان مبدأ نشاطهم وتمركزهم في كلٍّ من جزيرتي (كريت، وكيليكيا)[8]، ومن الأسباب التي كانت وراء اختيار القراصنة لـ (كيليكيا) أنّ هذه المنطقة كانت مقسّمةً إلى قسمين أو إلى ثلاثة أقسامٍ، فهي غنيّة وخصبة ووفيرة المياه، ومفصولة نوعاً ما عن سوريا بالإضافة إلى أنّها كانت محاطةً بسلسلةٍ من جبال (أمانوس)، وتشكّل جبال (طوروس) الداخليّة الحدود الشرقيّة لها، وهي تشغل جزءاً كبيراً منها، كما أنّها تُعدّ منطقةً حرّةً لا تخضع لأيّة سيطرةٍ من أيّة قوّةٍ من القوى الموجودة في تلك الحقبة الزمنيّة، وكانت المساكن تُقام على التلال، وكان من الممكن أن يتأثّر هؤلاء السكّان بتلك الطبيعة ليتحوّلوا إلى مُغيرين إذا غفل عنهم سكّان الأراضي المنخفضة[9].

أمّا عن مصدر اكتساب القراصنة لقوّتهم فإنّ المؤرخ (إسترابوا) يُرجع استفحال أمرهم إلى سببين، **أوّلهما:** الأحداث التي شهدتها مملكة السلوقيّين عام 142ق.م، عندما قام قائدٌ عسكريٌّ يدعى(ديودوتس) باغتصاب عرش السلوقيّين عام 142ق.م، وتقلّده للقب

(تريبون)، وقيامه باتّخاذ مدينة (قوراقسيوم) انظر (خ)1، التي تقع في الجزء الغربيّ من (كيليكيا)، وبمساعدة أهالي المدينة استطاع (ديودوتس) من تنظيم عصابات من القراصنة من أجل تزويده بما يلزمه من موارد، غير أنّ أمره انتهى عندما قام الملك (أنطيوخس) السابع الصيدوي بالقضاء على تمرّده بقتله عام 138ق.م، وبعد ذلك تمّ اتّخاذ (قوراقسيوم) قاعدةً للقرصنة امتدّ نشاطها إلى الربع الأخير من القرن الثاني ق.م، ليشمل الساحل الشرقيّ لحوض البحر المتوسط من (قوريني) الواقعة في الشرق الليبيّ حتّى (كريت والبلوبونيز) الواقعتين جنوب بلاد اليونان ، **أمّا السبب الثاني** فيُرجعه (استرابوا) إلي مشاكل السلوقيّين فيما بينهم[10]، أمّا المؤرخ (بلوتاريخ) فيُرجع أسباب قوّة القراصنة لسببين **أوّلهما**: حروب (متيردادس) التي استعان فيها بالقراصنة فقويت شوكتهم بعد ذلك، لكنّهم سرعان ما أدركوا أنّه لا فائدة مرجوّة من البقاء تحت قيادة (متردادس) فبدأوا بالعمل لحساب أنفسهم وعاثوا في الأرض فساداً، وتجرأوا بالسّطو على مدينة (ساموتراقيا)، ونهبوا معبدها أثناء تواجد القنصل الرومانيّ (سلا) بها، ويرجع (بلوتاريخ) **السبب الثاني** لقوّة القراصنة إلى الحروب الأهليّة التي قامت في روما ممّا تسبب في انشغال الرومان في إخماد لهيبها، فأهملوا بذلك البحر المتوسّط وتركوه دون حراسة، فأخذ القراصنة في عمليّات السطو دون مقاومةٍ من أحد[11].

وأيّاً كانت الأسباب فإنّ القراصنة بدأوا في نشاطهم، واتّخذوا من (قوراقسيوم) معقلاً لهم ومركزاً لنشاطهم الذي امتدّ إلى الربع الأخير من القرن الثاني، ليشمل الحوض الشرقيّ من المتوسّط كاملاً فيما بين قوريني وكريت والبلوبنيز[12].

وقد أشرنا سابقاً إلى قيام روما بالتخلّي عن (رودوس)، وكيف تمّ تحويل التجارة إلى ميناء (ديلوس)، وهذا الأمر لم تقم به روما حبّاً في (ديلوس)، بل هذا الأمر كان لمصلحتها الخاصّة فقط.

وبالرّغم من أنّ روما كانت تعمل جاهدةً لتأمين البحر المتوسّط، وتسهيل مرور السفن به، فإنّها كانت تغضّ بصرها عمّا كان يعمله القراصنة، فلماذا؟

ذلك لأنّ روما استفادت كثيراً من القراصنة خاصّةً التجّار منهم؛ لأنّ القراصنة يقومون بخطف الناس من البحر المتوسّط، ويتمّ بيعهم في سوق العبيد، وقد ساهمت روما في تنامي وازدهار تجارة العبيد التي كانت نشطةً في تلك المرحلة التاريخيّة، وازدادت نشاطاً بعد تحويل (ديلوس) عام 167ق.م كسوقٍ حرّةٍ لهذه التجارة، وقد حظيت باهتمامٍ بالغٍ من

قبل الرومان؛ لأنّ السوق كان يستوعب أعداداً كبيرةً من العبيد يفوق عددهم حوالي 10000 عبد في اليوم(13).

ثالثاً – روما والقراصنة:

قُدِّمت العديد من الشكاوى لروما بشأن الأعمال التي كان يقوم بها القراصنة من سلبٍ ونهبٍ وتعدٍّ على الناس والتجّار، غير أنّ روما تجاهلت الأمر ولم تُعره أهميّةً، واكتفت بإرسال بعض الحملات التأديبيّة على فتراتٍ متعدّدةٍ كان أوّلها عام 102ق.م بقيادة القنصل (ماريوس أنطونيوس)، ولمّا لم تتمكّن هذه الحملة من القضاء على نشاط القراصنة بشكل نهائيّ فقد قامت روما بإرسال حملةٍ أخرى عام 100 ق.م، وقد باءت هي الأخرى بالفشل، ولا يعني فشل (ماريوس انطونيوس) في هذه الحملة أنّه لم يحقّق بعضاً من الإنجازات، فقد استطاع أن يستولي على معاقل القراصنة على شواطئ (كيليكيا) وبعضٍ من الأراضي الواقعة في (بامفوليا)، فأوقف بذلك نشاط القراصنة لبعض الوقت، بالإضافة إلى تحويله (كيليكيا) إلى ولاية رومانيّة(14)،وحيث إنّ محاولات روما لم تتوقّف في القضاء على القراصنة عند هذا الحدّ، فقد كانت هناك محاولة للقضاء عليهم من قبل القنصل الرومانيّ (سلا) بعد تولّيه الحكم في ولاية (كيليكيا) سنة 96ق.م، فقد كان القراصنة يقومون بالهجوم على المناطق الساحليّة ثم يتحصّنون فارّين بالمناطق الداخليّة في المنطقة الممتدّة من (لوقيا) حتّى (جبال طوروس)، وبالإضافة إلى ذلك وفي أعقاب حرب (ميثريداتس) كان القراصنة يتحصّلون على المؤن والإمدادات اللازمة من أهالي القبائل الجبليّة من (ايساوريا أو وبيسيديا) القاطنين في المعاقل الداخليّة، كما انحازت بعض القبائل الأخرى للقراصنة وبدأت في مدّ يد العون لهم، وانتهى الأمر بقيام قرصان يُدعى (زنيقتس) بالسيطرة على كلّ الشاطئ الشرقيّ لإقليم (لوقيا) وبعض المناطق من جبال (سولوما)؛ لهذا أدرك (سلا) أنّه لا يمكن القضاء على معاقل هؤلاء القراصنة في المناطق الساحليّة إلا بالسيطرة على المناطق الداخليّة الجنوبيّة من آسيا الصغرى، فبدأ بتنفيذ خطّته بإخضاع الجزء الداخليّ من (لوقيا)، كما أنّه حاول القضاء على القرصان (زنيقتس)، غير أنّ قيام حرب (ميثريدادس) الثانية حالت دون تحقيق هذا المطلب(15).

بعد قيام حرب (ميثريداس) الثانية التي كانت سبباً في انشغال (سلا) عن القضاء على القراصنة، أوكلت روما مهمّة القضاء عليهم لقنصلٍ جديدٍ يُدعى (سرفيلوس)، بدأ مهمّته

بالهجوم على أوكار القراصنة في (لوقيا)، وتمكّن خلالها من السيطرة على الشريط الساحليّ منها سنة 77ق.م، وحقّق الانتصار على هؤلاء القراصنة في معركةٍ بحريّةٍ، ثمّ عاود (سرفيلوس) هجماته على معاقل القراصنة الجبليّة في العام التالي، حيث تمكّن من القضاء على القرصان (زنيقس)، وتمكّن من إخضاع (بامقوليا)، وفي عام 75ق.م نجح في السيطرة على (إساوريا)، ومن النتائج المترتّبة على الهجمات التي قام بيها (سرفيلوس) أنّه قتل أعداداً لا بأس بها من القراصنة وأسر بعضاً منهم، وفرَّ آخرون إلى جزيرة (كريت)، ثمّ قفل (سرفيلوس) عائداً إلى روما سنة 75ق.م ليحتفل بهذا الانتصار، لكن سرعان ما عاد نشاط هؤلاء القراصنة في المناطق الشرقيّة من المتوسّط[16].

رابعاً – أعمال القراصنة التخريبيّة:

زاد نشاط القراصنة في البحر المتوسّط فبدأوا بقطع الطريق أمام السفن التجاريّة، كما أنّهم بالغوا في إلقاء القبض على التجّار، وازدادت غاراتهم على الكثير من الجزر والموانئ[17]، والغريب أنّ مَن كان يساعد هؤلاء القراصنة في نشاطاتهم هم الأهالي الذين وصفهم (بلوتاريخ) بأنّهم "اشتهروا بالغنى والنبل "[18]، ومن المهمّ أن أقف عند هذه النقطة لكي أطرح السؤال التالي: لماذا قام الأهالي بمساعدة القراصنة؟ هل هو الخوف من بطشهم أو لأنّهم مستفيدون ممّا يقومون به من أعمال سلبٍ ونهبٍ؟ أم أنّ هناك أسباباً أخرى؟

للإجابة عن هذا السؤال أقول: لقد أنشأ القراصنة لأنفسهم عدداً كبيراً من الأوكار والمستودعات، أو كما سمّاها (بلوتاريخ) "موانئ القراصنة"، كما بنى هؤلاء لأنفسهم أبراجاً للمراقبة وزوّدوها بفنائر على طول السواحل، لكي يسهل عليهم استقبال الغنائم من السفن واستقبال الملاحين الذين تميّزوا بالمهارة في بناء السفن السريعة والخفيفة التي تساعدهم في أعمال السلب والنهب، وبالإشارة لبناء السفن فقد عمل القراصنة على تثبيت صواري مطليّة بالذهب لكي تُرهب الناس وتزيدهم هيبةً، وقد ذكر (بلوتاريخ) أنّهم "رفعوا عليها – أي السفن– قلوعاً من نسيج الأرجوان وصفّحوا مجاديفها برقائق الفضّة" [19].

لقد أصبح القراصنة مصدراً للقلق خاصّةً بعد قيامهم بالتعدّي على ميناء (ديلوس) وتخريبه عام 69ق.م، كما أنّهم نقلوا نشاطهم إلى روما نفسها وأغاروا على عدّة موانئ من بينها مينائي (برنديري وأوستيا)، كما أنّهم تجرأوا على قطع الطريق أمام السفن التجاريّة التي كانت تحمل الغلال والقمح ممّا كان يشكّل خطراً كبيراً يهدّد روما بالمجاعة[20]، وفي وصفٍ

لما هو عليه حال القراصنة من وحشيّة فإنّ (بلوتاريخ) يقول: "لم يتوانوا على ارتكاب أبشع الجرائم والآثام، وكان دينهم إقامة حفلات الغناء والرقص والولائم، والقصف على طول الساحل، وكانوا يأسرون القادّة ويفرضون الأتاوات على المدن فيلحقون بشرف السيادة الرومانيّة العار، ويمرِّغون سمعتها في التراب، وقد نهب هؤلاء القراصنة ما يقارب أحد عشر مكاناً من مناطق الشرق"، كما تلذّذ هؤلاء القراصنة بإهانة المواطنين الرومان والسخرية منهم خاصّةً المقيمين في الأرياف، فدمّروا منازلهم وأحرقوها، وأسروا الأشراف من الأرستقراطيّين[21]، كما تعرّضت (ديلوس) للنهب والسلب من قبل قرصان يُدعى (أثينودوروس)، وأخذ خطّ إمداد روما بالغذاء يتعرّض لخطر السطو[22].

خامساً – مهمّة القضاء على القراصنة:

نتيجة لتلك الأعمال الوحشيّة التي قام بها القراصنة أدركت روما أخيراً حجم الكارثة التي يمكن أن يتسبّب بها استفحال أمر القرصنة، فعمدت إلى إصدار قانون تمنع فيه القراصنة من مزاولة نشاطهم في موانئ المتوسّط بشكلٍ عامٍّ وفي سواحل روما بشكلٍ خاصٍّ، وعملت روما على مخاطبة حلفائها وحذّرتهم من التعامل مع هؤلاء القراصنة بأيّ شكلٍ من الأشكال[23]، كما أنّها بدأت في السعي للقضاء عليهم، واجتثاث جذورهم؛ لذا تمّ إصدار قانون من قبل (كابينيونس جانينيوس)، أحد أعضاء مجلس السيناتو ينصّ بموجبه منح السلطة المطلقة على كلّ البحار[24]، وهذا يعني أنّ من يتولّى هذا المنصب سيُمنح كافّة الصلاحيّات على البحار كأمير للأسطول، والحاكم المطلق والمتفرّد على الناس كافةً، ويشير (بلوتاريخ) إلى ذلك ويذكر أنّ هذا يُعَدّ تصريحاً واضح المدلول على أنّ من يتولّى المنصب يجب أن يكون حاكماً مطلقاً على البحار من أعمدة هرقل وكلّ الأراضي التي تقع سواحلها إلى مسافة عمق أربعمائة فرلنغ إلى الداخل، لهذا وقع الاختيار على (بومبي) الذي يعتبر من الأصدقاء المقربين لـ(جايوس)[25]، ومن ضمن الصلاحيّات الممنوحة لـ(بومبي) وضع مجموعة من المساعدين بين يديه، بلغ عددهم حوالي خمسة عشر مساعداً، وهم من أعضاء مجلس الشيوخ، كما مُنح حقّ التصرّف في السحب من الخزانة العامّة، وحق جباية الضرائب من الأراضي الزراعيّة الخاضعة للضريبة[26]، ووُضعت بين يديه قوّةً عسكريّةً ضخمة بلغ عددها حوالي 120 ألف جنديّ مترجّلين، وخمسة آلاف من الخيالة، و500 سفينة، وقد أثار هذا الأمر بطبيعة الحال اعتراض بعض أعضاء مجلس

(السيناتو)، ولكن بفضل براعة (بومبي) وحنكته استطاع أن يزيد من عدد صلاحيّاته ومناصريه[27]، ويذكر (بلوتاريخ) أنّ الناس تيمّنوا في (بومبي) خيراً خاصّةً بعد نزول أسعار بعض السلع الضروريّة، وذكروا أنّ مجرد ذكر اسم (بومبي) كان كفيلاً لوضع حدٍّ لهذه الحرب[28].

بدأ (بومبي) بالاستعداد الكامل للقضاء على القراصنة فبدأ بتقسيم البحر المتوسّط إلى حوالي ثلاثة عشر قسماً، خصّص لكلّ قسمٍ قوّةً عسكريّةً محدّدة تحت قيادة أبرع القادة العسكريّين، وقد عمل بهذه الإجراءات على تطويق القراصنة وتضييق الخناق عليهم[29]، ثمّ وقعت الحرب قبال شواطئ (قوراقسيوم)، وقد عمد (بومبي) إلى الاستيلاء على عددٍ لا بأس به من السفن، اختلف المؤرّخون في تحديد عددها على وجه التقدير، فيذكر (إيبان) أنّها 71 سفينة، واستسلم من القراصنة حوالي 306 قرصان، وذكر (بلوتاريخ) أنّها حوالي 90 سفينة حربيّة مسلّحة بالكباش، بينما يذكر (إسترابو) أنّه تمّ حرق حوالي 1300 سفينة وقارب، ربما لا يكون أيٌّ من هذه الأرقام دقيقاً ولكن بالمجمل العامّ قد اتّضح أنّ القوة البحرية للأسطول الرومانيّ بقيادة (بومبي) قوةٌ كبرى يُحسب لها حسابٌ في البحر المتوسّط[30]، ويقول (بلوتاريخ): إنّ "القراصنة بدأوا يقعون في أيديه أفواجاً وزرافات، فيأتي بهم إلى الموانئ" كما أنّه ذكر أنَّ عدداً لا بأس به من هؤلاء القراصنة فرّوا وتحصّنوا داخل أسوار (كيليكيا)؛ لذا تولّى مهمّة القضاء عليهم شخصيّاً، بما لديه من قوّة بلغت 60 بارجة، وقد تمكّن من تطهير كلّ المنطقة التي تشمل البحر التيراني والبحر الأفريقيّ وكلّاً من (سردينيا، وصقلية، وكورسيكا) في مدّةٍ لم تتجاوز الأربعين يوماً[29].

وقد تعرّض (بومبي) لبعض العراقيل بسبب حقد وحسد بعضٍ من خصومه؛ ممّا تسبّب في وقف الإمدادات والقيام بتسريح معظم بحارته، وبعد معالجة تلك المشاكل قفل راجعاً لإكمال ما بدأه للقضاء على ما تبقّى من القراصنة، وقد عامل (بومبي) عدداً من القراصنة معاملة حسنة خاصّةً الذين فرّوا وظلّوا هائمين على وجوههم ولم يعرفوا للراحة سبيلاً، فقدموا لـ(بومبي) وطلبوا منه الرحمة، وقد سلموا ما تبقّى لهم من السفن، ولمّا علم بعض من القراصنة الفارّين ما قام به (بومبي) ضدّ رفاقهم آثروا الاستسلام أيضاً مع أولادهم وزوجاتهم فعفا عنهم (بومبي)، وسمح لهم بأن تكون لهم حياة جديدة، ورعاهم للاستثمار الزراعيّ، وأفسح لهم المجال لتذوّق الحياة النعيمة الهانئة[30].

وأمّا من بقوا على عنادهم وآثروا مهاجمة (بومبي) فقد توجّهوا بسفنهم إلى (قوراقسيوم) في (كليكيا)، وهناك هاجموا (بومبي) الذي كان لهم بالمرصاد، وقضى عليهم وهزمهم، فما كان منهم إلّا أن أتوا خاضعين وسلّموا القلاع والحصون لـ(بومبي)، وبهذا انتهت الحرب بالنصر المبين لروما، وتمّ القضاء على ما يُعرف بقراصنة البحر[31].

الخاتمة:

من خلال ما تمّ عرضه في البحث يمكن الوصول إلى مجموعةٍ من النتائج وهي:

1- لولا الأحداث الدائرة في شرق المتوسّط في القرن الثاني ق.م ما كان من الممكن أن تتعرّض المنطقة لخطر القراصنة.

2- روما هي المسبِّب الفعليّ للفوضى التي كانت تدور في شرق المتوسّط، فقد أسهم قيامها بالقضاء على مملكة السلوقيّين في الشرق الأدنى القديم، وانشغالها بإخماد الحروب الدائرة في روما نفسها في استفحال أمر القراصنة في المنطقة.

3- قيام روما بتحويل الميناء التجاريّ من (رودوس) إلى (ديلوس) يدلّ دلالة واضحة إلى أنّ هناك خطّةً مدروسةً للاستفادة من هذا الميناء بشكلٍ خاصٍّ.

4- من النقاط التي استوقفتني في هذا البحث قيام أهالي المناطق الجبليّة بتقديم يد المساعدة والعون لهؤلاء القراصة، فلماذا قام الأهالي بمساعدة القراصنة؟ هل هو الخوف من بطشهم أو لأنّهم مستفيدون ممّا يقومون به من أعمال سلبٍ ونهبٍ؟ أم أنّ هناك أسباباً أخرى؟ وكانت الإجابة من خلال ما تحدّث عنه المؤرّخ (بلوتاريخ) حول كيفيّة إعداد القراصنة لسفنهم بطريقة مرعبة لبثّ الرعب في النفوس مع إشارته إلى الأعمال الوحشيّة التي قاموا بها.

5- إنّ الحملات التي سيَّرتها روما في الفترات الممتدّة بين عام 102 ق.م و75ق.م ماهي إلّا حملات ضعيفة لتهدئة الأوضاع وإيقاف الأعمال التي كان يقوم بها القراصنة.

6- عدم أخذ روما الموقف بجديّة تامّة يدلّ على أنّها راضية تماماً عمّا يقوم به القراصنة من أعمال خاصّةً بعد قيامها بتحويل الميناء التجاريّ من (رودوس) إلى (ديلوس) ليقوم الميناء بتزويدها بعددٍ من العبيد الذين يُباعون في سوق النخاسة بشكلٍ يوميٍّ وصل فيه عددهم إلى حوالي 1000 عبدٍ في اليوم، وبطبيعة الحال فإنّ هؤلاء العبيد يتمّ الحصول عليهم من خلال ما يقوم به القراصنة من أعمال سطوٍ وأسرٍ.

7- عدم تقدير الموقف جعل من روما هدفاً من أهداف القراصنة بعد أن ازدادت قوّتهم وأصبح من الصعب ردعهم، فتجرأوا على الإغارة على روما نفسها وبشكلٍ مباشرٍ، فبدأ شبح المجاعة يلوح في الأفق ليهدّد آلاف المواطنين الرومان، لهذا نجد تحوّلاً وتغييراً كبيرين في موقف روما من هؤلاء القراصنة، حيث بدأت بتخصيص مبالغ عالية، ومنحتهم سلطات لا حدود لها في سبيل كبح جماح القراصنة والقضاء عليهم قضاء مبرماً، وذلك بتكليف (بومبي) وإعطائه سلطاتٍ لا حدود لها ورجالاً وسفناً ممّا أتاح لروما فرصة القضاء على القراصنة وإنهاء وجودهم في البحر المتوسّط .

خريطة رقم (1) توضّح موقع (كيليكيا) و(قوراقسيوم) معاقل القراصنة

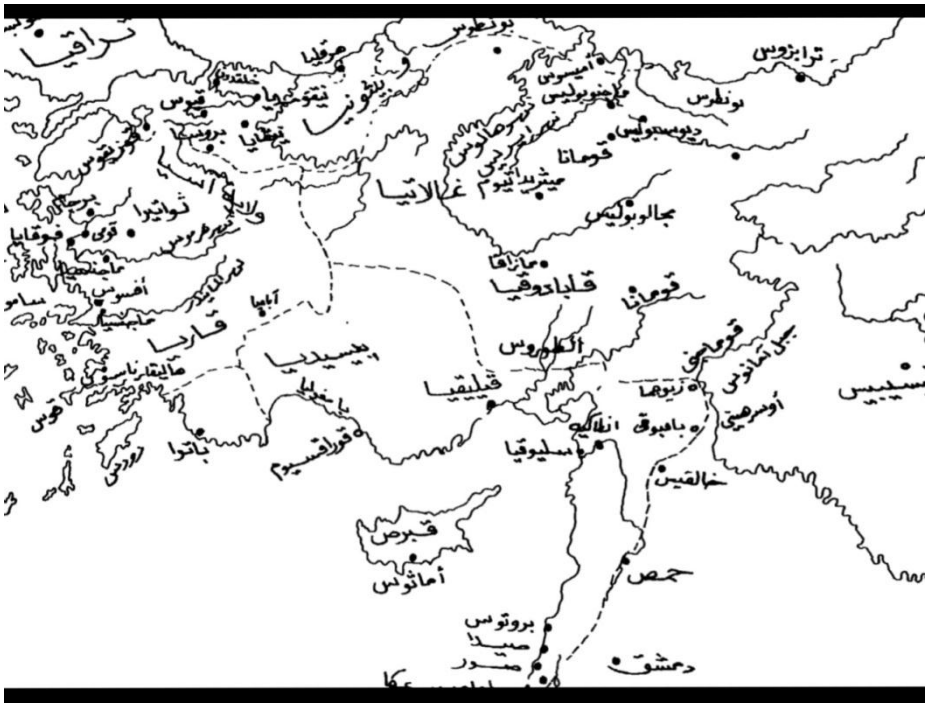

المصدر: نقلاً عن إبراهيم نصحي، التاريخ الرومانيّ،ج2 ، ص840.

خريطة رقم (2) توضّح موقع (جزيرة رودوس)

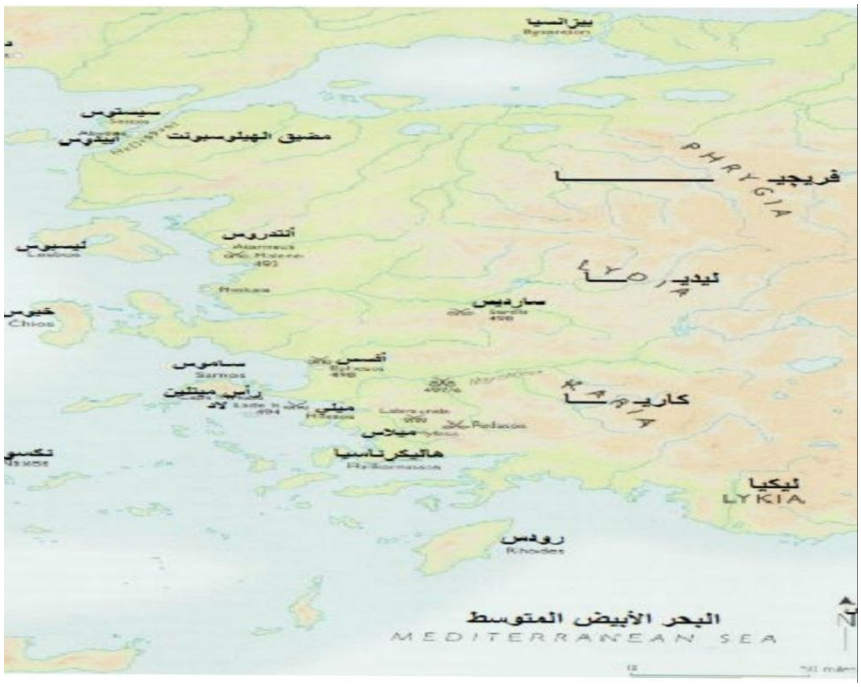

المصدر: نقلاً عن عمر بوصبيع، صراعات الهيمنة وبسط النفوذ بين دول العالم القديم في حوض البحر المتوسّط 480– 146 ق.م ، ص 563.

خريطة رقم (3) توضّح موقع (جزيرة ديلوس)

الموقع الإلكترونيّ: www.pinterest.com\pin\697354323520186344.

الهوامش:

*هو اسمٌ لمدينة تاريخيّة تابعة لمملكة (ليديا)، وهو الموقع الذي دارت فيه المعركة بين الرومان بقيادة (لوسيوس كورتيليونس) ضدّ السلوقيّين بقيادة (انطيوخوس الأكبر). انظر (خ) رقم (2).

(1) تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ص250.

Graham wrightson ,the Battes,of Antiochas,the Great .

(2) APPIan ,The Syrian Wars,z,p35

ق .دياكوف.س.كوفاليف ،تنسيم واكيم اليازجي، الحضارات القديمة،ج2،منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1،ص508 .

** جزيرة من الجزر الهيلينستيّة التي تميّزت بموقعها بين آسيا الصغرى وسوريا ومصر والمدن اليونانيّة البحريّة والبريّة، وكانت وسيطاً في غاية الأهميّة بين المراكز الهيلينيّة. انظر (خ) رقم 3.

(3) P.V.Dssel .H.Hauben . Rnodes .Alexander and the Diadoch.333-332 to 304 .B.C,hstoria ,vol ,26,1977,p311.

(4) كريمة رمضان الرفاعي، دور رودوس في سقوط المدن الإغريقيّة، كليّة الآداب، كفر الشيخ، ص 145–149.

(5) KATTLHEEN KUIPER ,NCIENT ,ROME ,from Romalus ,AND .REMSTO ,The Visigothinvasion ,Britannica,2021,p

(6) M.I.ROSOVTZEFFRE ,THE Hellenistic wonid and its ECONOMIC ,Development.A.H.R.Vol.4,1936,p243.

(7) M.I.ROSOVTZEFFRE ,Ibid .p243 .

(8) دونالو ددلي، حضارة روما، ت فاروق فريد، جميل بواقيم الذهبي، إشراف الإدارة العامّة للثقافة بوزارة التعليم العالي، ص 139.

(9) M.I.ROSOVTZEFFRE ,OP .CIT, p210,211 .

(10) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان 133–44 ق.م، ج2، منشورات الجامعة الليبيّة، كليّة الآداب،2001، ص220.

(11) بلوتاريخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ت جرجيس فتح الله، مج2، الدار العربيّة للموسوعات، ص 1189.

(12) إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 220 .

(13)JOHN .D GRAINGER ,HEIIENISTICTAND ROMONT NAVAL WARS,336-31 B.C ,BRTAIN,BY 2011 , P215-217.

(14) إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص309.

(15) المرجع نفسه، ص310.

(16) A.H.J GREENIPGE .M.A. and A.M. CLAY ,SOURCES , FOR ROMAN ,HISTORY .B.C 133-70,OXFORD,AT,THE ,CLAREDON,PRSS ,1903 .

(17) ديو كاسيوس، التاريخ الرومانيّ XXXVI ، المطبعة الكلاسيكيّة، مكتبة لوب، 1914، ص 37 .

(18) بلوتاريخ، المصدر السابق، ص 1119 .

(19) المصدر نفسه، ص 1119 .

(20) عبد اللطيف أحمد عليّ، التاريخ الرومانيّ عصر الثورة من تبيريوس جراكوس إلى إكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربيّة وبيروت، ص123–124.

(21) بلوتاريخ، المصدر السابق، ص1189.

(22) JOHN .D GRAINGER ,0P.CIT .P202-203 .

(23) محمود السعدي، حضارة روما منذ نشأتها حتّى نهاية القرن الأوّل الميلادي، ط1، 1998م، عين للدراسات الإنسانيّة، ص 110.

(24) أحمد فيصل دلول اللهيبي، الحكومة الثلاثيّة في بلاد الرومان دراسة تاريخيّة 59–44ق.م، جامعة بغداد، كليّة الآداب، بغداد ،2015م، ص60.

(25) بلوتاريخ، المصدر السابق، ص1191 .

(26) المصدر نفسه، ص1191.

(27) ف . دياكوف . س كوفاليف، المرجع السابق، ص 583.

(28) إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الرومانيّ، الشركة العالميّة للكتاب، ط 1996، لبنان، ص223.

(29)John ,D.Grainger ,op.cit ,pp228-229.

(30) بلوتاريخ، المصدر السابق، ص 1192.

(31) المصدر نفسه، ص1192.